لماذا تجنبا عين الحلوة، فلأنه «لم يكن لديهما الوقت الكافي». ولوحظ انه في تقديم احصاء مضاد لعدد المصابين في اثناء الحرب، تجاهل المؤلفان حصار بيروت، واشارا الى الجنوب فقط. وحتى في هذا، ذكرا، فقط، الف قتيل ولم يشملا ١٢٠٠ قتيل في عين الحلوة وحده ـ حسب الناطق الرسمي باسم الجيش الاسرائيلي في صيدا.

ادعى دوبوي ومارتيل بأنهما يحتجان فقط على المبالغات لحجم الدمار وعدد المصابين التي ظهرت في الصحافة والتلفزة الغربية في صيف العام ١٩٨٢. لكن ادعاءهم اصطدم بحقيقة انهما بحثا عن اعلى التقديرات التي نجحا في العثور عليها، ليسخرا منها، وليقدما تقديراتهما المنخفضة جداً كبديل، دون ان ينظرا الى التقديرات الوسيطة المعقولة ذات المصداقية الكبيرة. ويكمن في اصل هذه المناورة اعتقاد عجيب، مفاده ان الاحصاءات الدقيقة لعدد اللاجئين والمصابين التي جمعتها الشرطة اللبنانية (على اساس تقارير البلديات والمستشفيات) والوكالات الوطنية والدولية (الامم المتحدة، وكالة الغوث، الصليب الاحمر اللبناني، والدولي) تقل مصداقيتها عن الانطباعات الجزئية للمؤلفين. وهذا الامر يهدف، حتماً، الى تصوير الجيش الاسرائيلي كطرف انساني. وخصص المؤلفان فقرات عدة لاثبات التزام الجيش الاسرائيلي بالقانون الدولي ومعاملته «الحسنة» للاسرى والمدنيين؛ واختفى من النص الرفض الشهير للعقيد ايلي غيفع بأن يقاتل في بيروت، كي «لا يطلق النار على الاطفال»؛ كما اختفت رواية المقدم دوف يرمياهو عن التعامل الهمجي ضد الاسرى العسكريين والمدنيين.

بعد تغييب مثل هذه المصادر الحقيقية عن الحرب، لم يصعب على المؤلفين ان يزعما، بقحة وفظاظة، ان دخول القوات الاسرائيلية الى بيروت الغربية بعدانسحاب م.ت.ف. (مما ادى، فوراً، الى مجزرة صبرا /شاتيلا) لاقى «التمجيد والمديح من قبل الجميع» (ص ١٨٣)، علماً بأن هذا الدخول جذب الادانة حتى من البيت الابيض الاميركي. وعلى الرغم من التشديد على القانون الدولي، يتجاهل دوبوي ومارتيل، فجأة، لاشرعية التصرف الاسرائيلي والدعم اللاحق للدخول الكتائبي الى المخيمات الفلسطينية (علماً بأنهما اعترفا بمسؤولية اسرائيل الصريحة عن المجازر)، واغفلا واقع انسحاب القوة متعددة الجنسية من بيروت قبل الموعد المحدد وقبل ايفاء الشرط الاساسي: أي انسحاب الاسرائيليين من جوار العاصمة اللبنانية.

أدى مسعى تبرئة اسرائيل الى تطورات اخرى في «لعبة الارقام». فثمة صفحتان اسهبا فيهما في مناقشة كم قنبلة سقطت بالفعل على بيروت؟ من اجل اظهار ان العدد الفعلي كان معقولاً في السياق. وهنا، وصلت الحسابات الرياضية أوجاً من الحماقة والتحوير، فاشار الكاتبان (ويتطابق النص مع مقالة لدوبوي في صيف العام ١٩٨٢) الى خبر نشر في صحيفة «انترناشونال هيرالد تريبيون»، تاريخ ١٤ آب (اغسطس)، أكد قيام الطائرات الاسرائيلية بقذف ٤٤ الف قنبلة على العاصمة. ثم حسبا عدد الطائرات في سلاح الجو الاسرائيلي وعدد القنابل التي تحملها كل طائرة، ومعدل الطلعات، كي يبرهنا على ان الحمولة القصوى التي امكن نقلها، خلال يوم واحد، تقل عن ٤٤ ألف قنبلة، وذلك حتى يشكك القارىء في الخبر وفي التهمة الموجهة الى اسرائيل باستخدام العنف البالغ.

وشوّه المؤلفان وقائع عدة؛ ليس اقلها التصريح بان الطائرات الاسرائيلية لا تحمل سوى اربع قنابل للواحدة، بدلاً من الحمولة الحقيقية ثمان قنابل في أ ـ ٤ سكايهوك و ٣٢ قنبلة في اف ـ ٤ فانتوم، وهي نصف الحمولة القصوى الممكنة، عدا الصواريخ غير الموجهة التي تأتي في حاضنات تتسع لـ ١٨ صاروخاً. انما الاهم من ذلك، هو تجاهل المؤلفين لمسألة واضحة، هي ان مراسل الصحيفة ليس خبيراً عسكرياً، فجمع القنابل الجوية والقذائف المدفعية (الارضية) معاً. بل واقر دوبوي ومارتيل بأن ذلك الخلط واضح، حين اشارا الى خبر نشر في صحيفة «الواشنطن بوست» ذكر ان «١٦٠٠ قنبلة وصاروخ سقطت [من الجو]... و ٤٢ الف قذيفة اطلقت من المدفعية الاسرائيلية البرية والبحرية». وهنا رفض دوبوي الرقم ٤٢٠٠٠، على اساس حجتين: الاولى مشاهداته خلال زيارة طولها خمس ساعات، في اليوم التالي، لعدة بطاريات اسرائيلية؛ والثانية، ملاحظة ان «مئة مدفع» لا تقدر على اطلاق ذلك الحشد من القذائف. الّا ان ملاحظاته هذه جزئية وتستند الى حضور مختصر في احد اليومين المعنيين فحسب. يضاف الى ذلك، ان الجيش الاسرائيلي حشد لواءي مدفعية وكتيبتين مستقلتين حول بيروت، أي ٢١٦ قطعة. كما اشتركت الدبابات بالقصف، نظراً الى قصر المسافات، ٣٠٠ الى ٦٠٠ قطعة. واذا